نزهة الفضلاء في دراسة قول الله :
{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: ٢٨]
دراسة تحليلية

دكتور/ بندر بن سليم بن عيد الشراري
الأستاذ المساعد في قسم القرآن وعلومه
كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض

بِسْمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابته الطيبين وعنا معهم إلى يوم الدين.

أما بعد فإن دراسة آي القرآن وتدبّر معانيها والتأمّل في دلالتها من أعظم العبادات وأجلّ القربات، ولا حياة لقلب الإنسان ولا طمأنينة له إلا من طريق القرآن كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وخير من يتدبّر كتاب الله ويتأمله هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، ولو تأملنا في الكتاب العزيز لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد نوّه بذكر العلماء في مواضع من كتابه، فقال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧]

وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨

وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ [النساء: ١٦٢]

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾ المجادلة: ١١ والآيات في ذلك كثيرة.

وإذا ذُكر العلماء وفضلهم فلا يكاد يغيب عن المتكلم والمستمع قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨ ﴾ [فاطر: ٢٨] فإن في هذه الآية تنويهًا بذكرهم ورفعةً لشأنهم وبيان مرتبتهم في العبادة، فإن المتدبّر يرى في هذه الآية من دلالات التركيب والمفردات والسياق ما يجعله يعيش رحلة تدبّر في معانيها وما تضمّنته مبانيها، ولذلك فقد حرصت أن أكتب في هذه الآية ما يمكن أن يجمع فيه بين التفسير التحليلي والحس التدبّري، رجاء أن يمنّ الله علي بكتابتي هذه بشيء من تدبّر هذه الآية، لا سيما وأنني ومن هو مثلي من أهل التخصص أولى من ينبغي عليه تدبّر كتاب الله كونه مسلمًا أولًا، وطالب علم ثانيًا، ومتخصصًا في القرآن وعلومه ثالثًا، فهي أشبه ما تكون بتكاليف متتابعة أو متداخلة إن وجد عذرًا في أحدها فلن يجد عذرًا في الأخرى، فأسأل الله أن أكون قد وفّقت فيما كتبت، وأن أنال ولو بعضًا مما أمّلت، والله من وراء القصد.

الدراسات السابقة:

لم أجد من كتب في تفسير هذه الآية على وجه الإفراد لها، ولكن قد كُتب في تفسير آيات رسائل مفردة، فليس ذلك بدعًا من التأليف، وعلى سبيل المثال:

١- تفسير قول الله تعالى: ﴿ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ﴾ [النور: ٣٠] لشيخ الإسلام ابن تيمية–ت٧٢٨هـ–[١]

٢- مجالس في تفسير قول الله تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٤] للحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي– ت٨٤٢هـ–[٢]

٣- رسالة في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ الآية [التوبة: ١٨] للشيخ علي الأجهوري المالكي – ت١٠٦٦هـ–[١]

---

[١] – حققها أبو عبد الرحمن عبد المجيد جمعة.

[٢] – أخرجها وعلّق عليه: محمد عوامة.

أسباب اختيار الموضوع:

١- بيان منزلة العلماء من خلال هذه الآية.

٢- الرغبة في رحلة تدبرية مع هذه الآية رجاء أن تعود على الباحث والقارئ بالنفع.

٣- إبراز بعض الصور البيانية من تركيب الآية

٤- المحاولة في إبراز الدراسات القرآنية للآية الواحدة بأسلوب قريب ومفيد.

خطة البحث:

طبيعة البحث لا يمكن فيها تصنيف مسائله إلى مطالب ومباحث إلا على سبيل التكلّف، ولذلك آثرت الابتعاد عن هذا التكلف، وقصدت إلى أن أعرض فقرات هذا البحث على صورة مسائل مرتبة، وهذا هو شأن التفسير التحليلي، وقد حرصت أن يكون ترتيب هذه المسائل مناسبًا لترتيب الآية، وقد جاءت على النحو التالي بعد هذه المقدّمة والتمهيد:

تمهيد: بيان منزلة العلماء في القرآن.

دراسة الآية: وفيها اثنتا عشرة مسألة:

المسألة الأولى: سبب النزول.

المسألة الثانية: القراءات.

المسألة الثالثة: الإعراب.

المسألة الرابعة: الكلام على القصر بـــ(إنما).

المسألة الخامسة: معنى الخشية,

المسألة السادسة: الفرق بين الخشية والخوف وبعض ما يُظنّ فيه الترادف.

المسألة السابعة: تقديم المفعول على الفاعل.

المسألة الثامنة: المراد بالعلماء.

المسألة التاسعة: العلاقة بين العلم والخشية.

المسألة العاشرة: معنى العزيز والغفور، ودلالة اقترانهما، وختم الآية بهما.

المسألة الحادية عشرة: مناسبة الآية لما قبلها.

الثانية عشرة: مناسبة الآية لما بعدها.

---

[١] - دراسة وتحقيق عيادة بن أيوب الكبيسي.

ثم الخاتمة، وأهم النتائج والتوصيات.

ثم قائمة المراجع، وفهرس والموضوعات.

المنهج المتبع في البحث:

١- جمع ما أمكن مما قيل في الآية تفسيرًا ولغة وتوجيهًا ثم دراسة هذه الأقوال بصورة مسائل.

٢- راعيت الاختصار في هذه المسائل مراعاةً لطبيعة مثل هذه البحوث.

٣- كتابة الآيات برسم مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٤- قم بتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية.

٥- عزوت الأقوال إلى أصحابها وكتبهم.

٦- وضعت خاتمة، وذكرت فيها أهم التوصيات والنتائج.

تمهيد

بيان منزلة العلماء في القرآن

لما كان العلماء هم ورثة الأنبياء فقد نوّه الله بذكرهم في كتابه ورفع منزلتهم بين الناس فقال تعالى: فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾ المجادلة: ١١ فعندما ذكر رفعة المؤمنين، والعملاء من جملتهم لم يكتفِ بذلك بل أكد رفعتهم وعلو منزلتهم إذ أفردهم بالذكر من بين جملة المؤمنين، وهذه الرفعة عامة لم تُقيّد ولذلك هي تشمل رفعتهم في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فقد قرن الله شهادتهم بشهادته على أعظم مشهود، فقال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨] مع أن سائر المؤمنين يشهدون بذلك، ولكن تخصيصهم بالذكر تنويهٌ بمكانتهم.

وأما رفعتهم في الآخر فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الروم: ٥٦] فهذا القول سيقولونه يوم القيامة كما أخبر الله تعالى، وذلك يدلّ على اعتبار قولهم وتصديقه، وأنه يقوم مقام الشهادة على المنكرين ليوم البعث.

وقال الله تعالى في التنويه بذكر العلماء: ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ ﴾ [الزمر: ٩] وهذا الاستفهام استفهام إنكار، أي لا يستوي الذين يعلمون والذي لا يعلمون، وهو بيان لعو منزلة العلماء على من سواهم.

وقال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧] فلما ذكر الله حال أهل الزيغ ونعتهم بسوء مقصدهم وتوجههم، أثنى على العلماء بأنهم أهل تسليم فيما تشابه عليهم إن قلنا الواو في ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ استئنافية، وأما إن قلنا: إن الواو عاطفة فالمعنى أيضًا فيه تنويه بشأنهم إذا عطفهم على اسمه الكريم في كونهم يعلمون تأويل كلام الله الذي يشتبه على الناس ويزيغ به أهل الأهواء، فهم لا يتكلمون إلا بما يعلمون، ويسكتون عما لا يعلمون ويحيلون علمه للعليم الخبير قائلين: ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾

وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ﴾ [النساء: ١٦٢] وفي هذه الآية قدّم ذكر الراسخين مع أنهم من جملة من آمن من أهل الكتاب، لأن إيمانهم حجة على من لم يؤمن من أهل الكتاب، وهذا يدلّ على عظم شأنهم وعلو مكانتهم

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر: ٢٨] وهذه الآية بيّنت علو مرتبتهم في أعمال القلوب حيث بلغوا مرتبة الخشية التي اختصوا بها في حق الله دون غيرهم، وهذه الآية هي محل البحث.

المسألة الأولى:

سبب النزول

لا يشترط في كلّ آية أن يكون لها سبب نزول؛ فإن الآيات ربما نزلت ابتداءً وهذا أكثر ما في القرآن، وربما نزلت لسبب معلوم أو مظنون، وهذه الأسباب منها ما ثبت صحتها، ومنها ما لم يرد من طريق صحيح أو ليس له أصل، وإنما يُذكر في بعض كتب التفسير، وهذه الآية لم أجد من ذكر لها سبب نزول ثابت إلا ما رواه الثعلبي بسنده عن عطاء الخراساني–يرفعه–قال: ظهر من أبي بكر –رضي الله عنه– خوف حتى عُرف فيه فكلّمه النبي –صلّى الله عليه وسلم– في ذلك، فأنزل الله سبحانه تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]في أبي بكر –رضي الله عنه– وفي الحديث: «أعلمهم بالله أشدهم له خشية»[١]

المسألة الثانية:

القراءات

ليس في الآية قراءات أخرى إلا ما يروى من قراءة لا تثبت، منسوبة لعمر بن عبد العزيز وابن سيرين أنه قرئ (إِنَّما يَخْشَى اللَّهُ) رفعا و (الْعُلَماءَ) نصبا، وقيل هو اختيار أبي حنيفة، ووُجِّهت هذه القراءة على أن الخشية هنا بمعنى العلم.[٢]

وقيل في توجيه آخر: إن الخشية مستعارة للتعظيم فإن المعظم يكون مهيباً[٣].

---

[١] – تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن) (٨/ ١٠٦)

[٢] – انظر تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٥) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) (٣/ ٨٦)

[٣] – انظر تفسير البيضاوي (٤/ ٢٥٨) تفسير النسفي (٣/ ٨٦)

قال بدر الدين العيني: "فإن قلتَ: كيف يكون المعنى على هذه القراءة؟
قلتُ: هي من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللازم والمعنى: إنما يعظم اللهُ من عباده العلماء؛ لأن الخشية من لوازمها التعظيم."[1]
وهذه التوجيهات إنما يعوّل عليها عندما تثبت القراءة، وأما مع عدم ثبوتها فلا حاجة للتوجيه، ويكتفى بردّها، لا سيما إن كانت تستلزم معنى باطلًا لا يزول إلا بشيء من التكلّف.
قال أبو حيان بعد أن ذكر هذه القراءة: "ولعل ذلك لا يصح عنهما- أي عن عمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة- وقد رأينا كتبًا في الشواذ، ولم يذكروا هذه القراءة..."[2]
وقال قوام السنة الأصبهاني: "وأجمع القراء على رفع (العلماء) ونصب (اسم الله تعالى)، وهو الصواب الذي لا معدل عنه، إلا أنّ طلحة بن مصرف قرأ كذلك: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ) فرفع اسم الله تعالى ونصب (العلماء)، ويروى مثل ذلك عن أبي حنيفة، وأكثر أهل العلم يذهب إلى أنّه لحن."[3]
بل هناك من شدّد في إنكارها حتى عدّ القراءة بها كفرًا.[4]
وعلى كل حال فالقراءة شاذة حتى لو ثبتت عمن قرأ بها، فكيف وقد أُنكر نسبتها إليهم.
والله أعلم

المسألة الثالثة:

إعراب الآية

﴿ إِنَّمَا ﴾ : أداة حصر، ﴿ يَخْشَى ٱللَّهَ ﴾: فعل ومفعول به مقدم على فاعله لإفادة الحصر، ﴿ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ : حال من {الْعُلَمَاءُ}، و ﴿ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾: فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ : ناصب واسمه، :﴿ عَزِيزٌ ﴾ خبر أول له، ﴿ غَفُورٌ ﴾: خبر ثانٍ، والجملة مستأنفة.[5]

---

[1] – المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية لبدر الدين العيني (٢/ ٩٥٣)
[2] – البحر المحيط في التفسير لأبي حيان (٩/ ٣١)
[3] – إعراب القرآن للأصبهاني (ص: ٣٢٧)
[4] – انظر صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي (١/ ٢٠٦)
[5] – تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن لمحمد أمين الهروي (٢٣/ ٤٢٤)

المسألة الرابعة:

الكلام على القصر بـــ(إنما)

المشهور أن (إنما) من أدوات القصر[١]، والقصر في اللغة: كما قال ابن فارس في أحد أصلي قصر: "الْقَصْرُ: الْحَبْسُ، يُقَالُ: قَصَرْتُهُ إِذَا حَبَسْتُهُ، وَهُوَ مَقْصُورٌ، أَيْ مَحْبُوسٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٧٢]، وَامْرَأَةٌ قَاصِرَةُ الطَّرْفِ: لَا تَمُدُّهُ إِلَى غَيْرِ بَعْلِهَا، كَأَنَّهَا تَحْبِسُ طَرْفَهَا حَبْسًا. قَالَ الله تعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ ﴾ [الرحمن: ٥٦]. وَمِنَ الْبَابِ: قُصَارَاكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا وَقَصْرُكَ، كَأَنَّهُ يُرَادُ مَا اقْتَصَرْتَ عَلَيْهِ وَحَبَسْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ."[٢]

وفي اصطلاح البلاغيين: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص. والشيء الأول هو المقصور، والثاني هو المقصور عليه. ومعنى اختصاص المقصور بالمقصور عليه ألا يتجاوزه ويتعداه إلى غيره.[٣]

فقولك: إنما زهير شاعر، تكون قد قصرت زهير على الشعر وهذا يسمى قصر موصوف على صفة، وعكسه قصر الصفة على الموصوف، وذلك عندما تقول: إنما الشاعر زهير.

ومعنى القصر في الآية أنه لا يخشى اللهَ إلا العلماء، ولا يخشاه غيرهم، وهذا بناءً على أن (إنما) تفيد القصر وهو قول الأكثرين[٤].

وأما من خالفهم وقال: إنها لا تفيد القصر من حيث الوضع، ولكنها قد تفيده من جهة السياق والحال، فقد قال: إن (إنما) في الآية لا تدل على القصر، وإنما دلت على التخصيص، وذلك منزلة دون القصر، أي أن غيرهم يخشون الله.

قال ابن عطية: "و(إنما) في هذه الآية لتخصيص العلماء لا للحصر، وهي لفظة تصلح للحصر وتأتي أيضا دونه، وإنما يعلم ذلك بحسب المعنى الذي جاءت فيه، فإذا قلت: إنما الشجاع عنترة، وإذا قلت إنما الله إله واحد، بان لك الفرق فتأمله."[٥]

---

[١] – للحصر طرق عدة، انظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد مصطفى الهاشمي (ص: ١٦٧)

[٢] – مقاييس اللغة لابن فارس (٥/ ٩٦)

[٣] – جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص: ١٦٥)

[٤] – همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي(١/ ٥٢١)

[٥] – تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (٤/ ٤٣٧)

وممن اشتهرت مخالفته لقول الجمهور –في إفادة (إنما) للقصر– أبو حيان في تفسيره فقد قال عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [البقرة: ١١]: " إنما: ما: صلة لـــ(إن) وتكفّها عن العمل، فإنْ وليتها جملة فعلية كانت مُهيئة، وفي ألفاظ المتأخرين من النحويين وبعض أهل الأصول أنها للحصر، وكونها مركبة من ما النافية، دخل عليها (إنّ) التي للإثبات فأفادت الحصر، قولٌ ركيك فاسد صادر عن غير عارف بالنحو، والذي نذهب إليه أنها لا تدل على الحصر بالوضع، كما أن الحصر لا يفهم من أخواتها التي كفت بما، فلا فرق بين: لعل زيدًا قائم، ولعل ما زيد قائم، فكذلك: إن زيدًا قائم، وإنما زيد قائم، وإذا فُهم حصر، فإنما يفهم من سياق الكلام لا أن (إنما) دلت عليه، وبهذا الذي قررناه يزول الإشكال الذي أوردوه في نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ ﴾ [الكهف: ١١٠] ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾ [النازعات: ٤٥] "[1]

يريد بالإشكال في هذه الآيات إذا قيل بالقصر أن من صفات الرسول –صلى الله عليه وسلم– البشارة، وهذا خلاف ما يدل عليه القصر في الآية الأولى، ومن صفاته الرسالة، وهذا خالف ما أفاده القصر في الآية الثانية، وكذلك هو منذر من يخشى النار ومن لا يخشاها.

وقال أيضًا عند قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨] : "ولو كانت (إنما) دالة على الحصر لزم أن يقال: إنه لم يوح إليه شيء إلا التوحيد. وذلك لا يصح الحصر فيه؛ إذ قد أُوحى له أشياء غير التوحيد."[2]

والحق أن (إنما) تفيد الحصر كما قال الجمهور، ودليلهم على ذلك وجهان: الأولى لفظي، وهو أن العرب أجرت عليها حكم (ما وإلا) فجعلوا قول القال: إنما زيد شاعر، كقول: ما زيد إلا شاعر.

---

[1] – البحر المحيط في التفسير (١/ ١٠٠)

[2] – المصدر السابق (٧/ ٤٧٣)

والثاني معنوي، وهو أن الأصل في (إن) أنها جاءت لتأكيد إثبات المسند للمسند إليه، ثم اتصلت بها (ما) الزائدة المؤكدة أيضًا، فناسب أن تكون متضمنة لمعنى الحصر؛ لأن الحصر تأكيد على تأكيد.[1]

قال ابن رجب: "في قولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

دلَّت هذه الآيةُ على إثبات الخشية للعلماء بالاتفاقِ وعلى نفيها عن غيرِهم على أصح القولين، وعلى نفي العلم عن غير أهل الخشية أيضًا."[2]

وأما قول أبي حيان: "وكونها مركبة من ما النافية، دخل عليها إن التي للإثبات فأفادت الحصر، قول ركيك فاسد صادر عن غير عارف بالنحو." فكلام صحيح، فإن (ما) التي اتصلت بـــ(إن) ليست نافية، بل عَدَّ هذا الوجه ممن ذهب إلى أن إنما تفيد الحصر ساقطًا عند أهل اللغة[3]، ومع هذا فليس هذا الوجه عمدة من ذهب إلى أن (إنما) تفيد القصر، بل أدلتهم ما تقدّم، واستعمال العرب لها في القصر.

وأما قول أبي حيان في الموضع الآخر: "ولو كانت (إنما) دالة على الحصر لزم أن يقال إنه لم يوح إليه شيء إلا التوحيد[4]. وذلك لا يصح الحصر فيه إذ قد أوحى له أشياء غير التوحيد."

فقد قال ابن هشام رادًّا هذا القول: "وقوله إن دعوى الحصر هنا باطلة لاقتضائها أنه لم يوح إليه غير التوحيد مردود أيضا بأنه حصر مقيّد؛ إذ الخطاب مع المشركين، فالمعنى: ما أوحي إلى في أمر الربوبية إلا التوحيد لا الإشراك، ويسمى ذلك قصر قلب[5]، لقلب اعتقاد المخاطب، وإلا فما الذي يقول هو في نحو ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ

---

[1] – انظر الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني (٣/ ٢٥)الجنى الداني في حروف المعاني لابـــن قاســـم المرادي (ص: ٣٩٦) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (١/ ٤١٨)

[2] – تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ١٠٤)

[3] – انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام (ص: ٤٠٦)

[4] – يريد قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]

[5] – ينقسم القصر إلى قسمين رئيسين: قصر حقيقي، وقصر إضافي.

والقصر الحقيقي ينقسم إلى قسمين: حقيقي تحقيقي، وحقيقي ادّعائي.

والقصر الإضافي ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قصر إفراد، وقصر تعيين، وقصر قلب.

وتفاصيل هذه المسائل الماتعة تجدها في كتب البلاغة، انظر مفتاح العلوم للسكاكي (ص: ٢٨٨) جواهر البلاغة فـــي المعاني والبيان والبديع (ص: ١٧٠) ومن أحسن الكتب التي وضحتها بكثرة الأمثلة: البلاغة – المعـــاني – جامعـــة المدينة (ص: ٤٠٣) وهو من ضمن كتب المكتبة الشاملة الإلكترونية.

خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] فإن ما للنفي وإلا للحصر قطعا، وليست صفته – عليه الصلاة والسلام– منحصرة في الرسالة، ولكن لما استعظموا موته، أو جعلوا كأنهم اثبتوا له البقاء الدائم، فجاء الحصر باعتبار ذلك، ويسمّى قصر إفراد"[١]

وأما ما تقدّم من كلام ابن عطية وما فيه من اعتراض بقوله" "إنما الشاعر عنترة"، ومقارنته بقول: ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ [النساء: ١٧١] فيعرف خطأه إذا تبين لكل باحث أن للقصر أنواعًا يُطلب التفريق بينها في مظانّها.[٢]

فالحاصل أن (إنما) من أدوات القصر، وفائدتها أنها تثبت الحكم للمقصور عليه، وتنفيه عن غيره.

ولذلك فإن معنى القصر في قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]أنه لا يخشى اللهَ إلا العلماء، فهو قصر صفة على موصوف، أي قصر خشية الله على العلماء.

وهناك فرق بين أن يقال: إنما يخشى العلماءُ الله، وبين قول: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]فالأول قصر الخشية الحاصلة من العلماء على الله، بمعنى أنه لا يخشى العلماء إلا الله، وقد يخشاه غيرهم.

وأما الثاني، ففيه قصر الخشية الحاصلة لله على العلماء، بمعنى أنه لا يخشى الله إلا العلماء، ولا يخشاه غيرهم، وهو ما دلّت عليه الآية.

ولا حاجة بنا إلى أن نسأل، أيّهما أبلغ في الاستعمالين، لأنه لا شك أن التعبير القرآني أبلغ في المراد من معنى الآية، والسياق الذي جاءت فيه الآية يتسق مع هذا التعبير.

والآية إنما دلت في سياقها على إرادة بيان منزلة العلماء، مع أنه يصح في غير القرآن أن يقال إنما يخشى العلماء الله، وهذا المعنى قد جاء في الثناء على رسل الله والذين هم قدوة العلماء قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٩]

وربما قال قائل: أليس قولنا: إنما يخشى العلماءُ الله، فيه أيضًا بيان لفضيلة العلماء في مقام الخشية؟

---

[١] – مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص: ٥٩)

[٢] – انظر للحاشية قبل السابقة.

فيقال: بلى، ولكن هل ذلك مساوٍ لقولك: إنما يخشى اللهَ العلماءُ؟ وبين التعبيرين فرق كما تقدّم، فالأول يفيد أن العلماء لا يخشون إلا الله ولا يخشون غيره، مع إمكان أن يخشاه غيرهم، وفي التعبير الثاني وهو الذي دلّت عليه الآية: أن الله لا يخشاه إلا العلماء.

وإذا تأمّلت الفرق بين التعبيرين وجدت أن الثاني أظهر في بيان منزلة العلماء في الخشية، وإليك مثال–ولله المثل الأعلى– لو قيل " إنما يدخل على الملك زيد"، هل هو مثل قولنا:" إنما يدخل زيد على الملك"؟ فقد أفاد المثال الأول: أن الملك لا يدخل عليه إلا زيد، وأفاد المثال الثاني: أن زيدًا لا يدخل إلا على الملك.

تأمل المثالين:

١– إنما يدخل على الملك زيد= لا يدخل على الملك إلا زيد.

٢– إنما يدخل زيد على الملك= لا يدخل زيد إلا على الملك.

فكلٌّ من المثالين يدلّان على أن لزيد منزلة كبيرة وحظوة عظيمة لدى الملك، ولكن أيُّهما أدلّ على عظم المنزلة والحظوة عند الملك؟

لا شكّ أنه المثال الأول الذي أفاد أن الملك لا يدخل عليه إلا زيد، بخلاف المثال الثاني فإنه دلّ على أن زيدًا يدخل على الملك ولا يدخل على غيره، وربما دخل غيرُ زيد على الملك.

فإن كان من سؤال، فما وجه البلاغة من هذا التعبير؟

فالجواب: أن في هذا التعبير بيانًا لفضيلة العلماء وأنهم أعرف الخلق بالله؛ إذ لم يخشه إلا هم، فهم العارفون به، المراقبون له من بين سائر الخلق، "ولو كان الحصر واقعًا في المفعول –الذي هو لفظ الجلالة– لانعكس المعنى، فلو قال: إنما يخشى العلماءُ الله، لكان تقديره ما خشي العلماءُ إلا الله، وعلى هذا يكون الحصر في المخشّي لا في الخاشي، ويفيد أن المخشّي هو الله دون غيره، وعند هذا لا يمتنع أن يشارك العلماء غيرهم في خشية الله، فعلى المعنى الأول: الخشية محصورة في العلماء، وعلى المعنى الثاني: الله المخشي دون غيره، ومع هذا يكون مخشيًا للعلماء ولغيرهم."[١]

[١] – الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للمؤيد بالله الطالبي(٢/ ١١٥)

قال شهاب الدين النويري: "فالغرض بيان المرفوع وهو أن الخاشين هم العلماء، ولو قدّم المرفوع لصار المقصود بيان المخشيّ منه، والأوّل أتمّ."[١]

فظهر أن المقصود من هذا الحصر التنويه بذكر العلماء بما هو أرفع صفاتهم والتي اختصوا بها دون سائر خلق الله وهي أنه الله تعالى لا يخشاه إلا هم.

وهنا مسألة يحسن الإشارة إليها–وهي التي حملت بعض قول العلماء إن إنما ليست للحصر–أن قيل: إن هذا الحصر يلزم أن سائر العباد غير الله لا يخشون الله ولا يخافونه,

وهذا الاعتراض يمكن الإجابة عليه إذا قلنا: إن هناك فرق بين الخشية والخوف، فقد يوجد من يخاف لكن لا يصل إلى مرتبة الخشية، فقولنا: إنه لا يخشى الله إلا العلماء، لا يعني أنه لا يخاف الله غيرهم بل قد يصلون لدرجة الخوف ولا يرتقون لما هو أعلى من ذلك وهي درجة الخشية.

ولذلك فإنه يحسن بنا أن نعرف معنى الخشية أولًا، ثم بيان الفرق بينها وبين الخوف وبعض ما يظنّ فيه الترادف.

المسألة الخامس:

معنى الخشية

قال الأزهري: قال الليث: "الْخَشْيَةُ: الْخَوْف، والفِعْلُ خَشِيَ يَخْشَى"[٢]

وقال الجوهري: "خَشِيَ الرجل يَخْشَى خَشْيَةً، أي خاف، فهو خَشْيانُ والمرأة خَشْيَاءُ...وهذا المكان أَخْشَى من ذاك، أي أشدُّ خوفاً."[٣]

وقال ابن فارس: "الْخَاءُ وَالشِّينُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ يَدُلُّ عَلَى خَوْفٍ وَذُعْرٍ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمَجَازُ. فَالْخَشْيَةُ الْخَوْفُ."[٤]

يُلاحظ من المعاني اللغوية السابقة أن الخشية بمعنى الخوف، وعند التأمل في استعمال القرآن فإننا نجد أن للخشية معنى غير الخوف ومما يدلّ على ذلك قول الله

---

[١] – نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (٧/ ٨٤)

[٢] – تهذيب اللغة للأزهري (٧/ ١٩٤)

[٣] – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٦/ ٢٣٢٧)

[٤] – مقاييس اللغة (٢/ ١٨٤)

تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد: ٢١] فالتفريق بين الخوف والخشية دليل على أن لكل منهما معنى يخصّه.

وأما صنيع أئمة اللغة فإنه يُحمل على ذكر المعنى المقارب لا المطابق من كل وجه، وبين الخوف والخشية عموم وخصوص، فالخشية خوف وزيادة، فكل خاش خائف وليس العكس.

ويمكن أن نستخلص هذا القدر الزائد من المعنى في الخشية من النقولات التالية:

قال ابن عباس في بيان معنى الآية: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني.[١]

وقال مسروق: كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا.[٢]

وذُكر عن الحسن البصري أنه قال في معنى الخشية: هي الخوف الدائم اللازم في القلب غير مفارق له.[٣]

وقال الراغب: "الخَشْيَة: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾[فاطر :٢٨]."[٤]

وقال أيضًا في تفسيره: "الخشية الاحتراز من الشيء بمقتضى العلم."[٥]

وقال الشنقيطي: "الْخَشْيَةُ: شِدَّةُ الْخَوْفِ."[٦]

وتبيّن مما تقدّم أن الخشية تتضمّن معنى الخوف الشديد المقرون بالعلم والتعظيم ودوام ملازمته للقلب.

وهذا المعنى أشار إليه السمين الحلبي فقال: "الخشية: أشد الخوف. وقيل: خوف يشوبه تعظيم المخوف منه وأكثر ما يكون ذلك عن علم ما يخشى منه، ولذلك خص به العلماء في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقوله:﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ ﴾ [النساء:٩] أي استشعروا خوفاً عن معرفةٍ. قوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ [الإسراء:٣١] أي لا تقتلوهم معتقدين لمخافة أن يلحقهم إملاق. وقوله: {لمن خشي

---

[١] – تفسير البغوي (معالم التنزيل في تفسير القرآن) (٦/ ٤١٩)

[٢] – المصدر السابق

[٣] – انظر تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) (٨/ ٤٨٥)

[٤] – المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٢٨٣)

[٥] – تفسير الراغب الأصفهاني (٣/ ١١١٦)

[٦] – أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي (٨/ ٢٣٥)

العنت}﴿ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ ﴾ [النساء:٢٥] أي خاف خوفًا اقتضته معرفته بذلك من نفسه."[١]

وهذا المعنيان اللذان تقدّما هما المعنى اللغوي والشرعي، وهناك معنى تفسيري لمعنى الخشية في الآية قاله ابن عباس، قال: "الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير"[٢] وهذا المعنى بيان لثمرة العلم وأن الأصل فيه أن يثمر الخشية، ثم إن الخشية تثمر البعد عن معصية الله كما قال سعيد بن جبير: "الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل."[٣]

ومما تقدّم نلاحظ أن الخوف يُذكر عند تعريف الخشية، وسبب ذلك أن الخوف جزء من معنى الخشية، ولذلك لابد من بيان الفرق بينهما، فإن القول إن الخشية أبلغ من الخوف، أو إن الخشية قدر زاد على الخوف، لا يغني في معرفة الفرق بينهما!

المسألة السادسة:

الفرق بين الخشية والخوف وبعض ما يُظنّ فيها الترادف.

الشيء يُعرف معناه بحدّه المطابق، وأحيانًا بضدّه، ومرّة بمرادفه، والأشياء إذا عُرّفت لوحدها سهل تعريفها، ولكن إذا أُريد التفريق بينها وبين ما يرادفها، وكان هذا المرادف من جملة المفردات التي عُرّفت به هذه الكلمة=شقّ ذلك والتبس الأمر وكثر الخلاف، حتى يلجأ بعضهم إلى القول بأنه لا فرق بينهما، وأن الترادف فيهما ترادف من كل وجه، وأن الخلاف لا يعدو كونه خلافًا لفظيًا.

وإذا نظرنا في المبحث السابق وجدنا أن الخوف يذكر بإزاء الخشية أو يكون من ضمن تعريفها، ولذلك كان لزامًا معرفة الفرق بينهما لا سيما وأن الله فرّق بينهما فقال ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد: ٢١]ولن نخوض في مسألة (هل هناك ترادف في اللغة؟)؛ لأن هذه المسألة بُحثت وأشبعت بحثًا ودراسة، والذي استقرّ لدي أن الترادف إن كان يراد به التطابق المعنوي في دلالة اللفظ من كل وجه فلا يصح القول به في المعاني والأوصاف، ويصح في الذوات، فلا يصح أن نقول: إنّ (جاء) مرادفة لـــ(أتى) من كل وجه، وكذلك قعد وجلس، وقام ووقف،

---

[١] – عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي (١/ ٥٠٥)

[٢] – تفسير الطبري (جامع البيان) (١٩/ ٣٦٤)

[٣] – تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٥)

وأما إذا كان دلالة اللفظ على الذات فيصح القول بالترادف المطابق لأن الذات واحدة وهذا في الغالب يكون بسبب اختلاف اللغات أو الصفات، فمن الأول: البُرمة والقِدر، فدلالتهما على شيء واحد، والبرمة لغة أهل الحجاز، والقدر لغة أهل العراق، ومن الثاني: المهنّد والصارم، فإن دلالتهما على السيف، وهو شيء واحد وإن قلنا سبب التسمية ومعنى الصفة يختلفان إلا أن دلالتهما على ذات واحدة متساوية.

والحاصل أن الخشية والخوف لا بد أن يكون بينهما فرق ظاهر يتميّز به كل لفظ عن الآخر، ولذلك فقد حرص العلماء على التفريق بينهما مع اختلاف بينهم في تفرّد كل لفظ بما اختصّ به. وهذا ما يُشعر به ما تركبّت منه هاتان الكلمتان، قال الرازي: " وفي الآية[1] لطائف معنوية الأول: الخشية والخوف معناهما واحد عند أهل اللغة، لكن بينهما فرق وهو أن الخشية من عظمة المخشي، وذلك لأن تركيب حروف خ ش ي في تقاليبها يلزمه معنى الهيبة، يقال: شيخ للسيد والرجل الكبير السن، وهما جميعًا مهيبان، والخوف خشية من ضعف الخاشي، وذلك لأن تركيب خ وف في تقاليبها يدل على الضعف تدل عليه الخيفة والخفية، ولولا قرب معناهما لما ورد في القرآن تضرعا وخفية﴿ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾[الأنعام: ٦٣] ﴿ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] والمخفي فيه ضعف كالخائف. إذا علمت هذا تبين لك اللطيفة، وهي أن الله تعالى في كثير من المواضع ذكر لفظ الخشية حيث كان الخوف من عظمة المخشي قال تعالى:﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨] وقال: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١] فإن الجبل ليس فيه ضعف يكون الخوف من ضعفه وإنما الله عظيم يخشاه كل قوي هم من خشية ربهم مشفقون [المؤمنون: ٥٧] مع أن الملائكة أقوياء وقال تعالى: ﴿ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] أي تخافهم إعظاما لهم إذ لا ضعف فيك بالنسبة إليهم وقال تعالى: ﴿ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ﴾ [العنكبوت: ٣٣] أي لا تخف ضعفاً فإنهم لا عظمة لهم وقال: ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا ﴾ [الإنسان: ٧] حيث كان عظمة اليوم بالنسبة إلى عظمة الله ضعيفة وقال: ﴿ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ ﴾ [فصلت: ٣٠] أي بسبب مكروه يلحقكم من الآخرة فإن المكروهات كلها مدفوعة عنكم، وقال تعالى: ﴿ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ٢١] وقال: ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ

[1] – وهي قوله تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ق: ٣٣]

﴿٣٣﴾ ﴾ [القصص: ٣٣] لوحدته وضعفه وقال هارون: ﴿ إِنِّي خَشِيتُ ﴾ [طه: ٩٤] لعظمة موسى في عين هارون لا لضعف فيه وقال: ﴿ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ [الكهف: ٨٠] حيث لم يكن لضعف فيه، وحاصل الكلام أنك إذا تأملت استعمال الخشية وجدتها مستعملة لخوف بسبب عظمة المخشي، وإذا نظرت إلى استعمال الخوف وجدته مستعملًا لخشية من ضعف الخائف، وهذا في الأكثر وربما يتخلف المدعى عنه لكن الكثرة كافية "[1]

ويتلخّص من كلام الرازي أن الخشية النظر فيها لعظمة المخشي، والخوف النظر فيه من جهة ضعف الخائف. قال أبو البقاء الكفوي: "والخشية تكون من عظم المخشي وَإِن كان الخاشي قَوِيًا، والخوف يكون من ضعف الخائف وَإِن كان المخوف أمرا يسيرًا"[2]

وأبرز ما تميّزت به الخشية أنها مقرونة بالعلم دائمًا، وأما الخوف فليس بلازم، قال الشيخ ابن عثيمين: "الخشية أخص من الخوف ويتضح الفرق بينهما بالمثال: إذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا، فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية."[3]

وهناك تفريق ذكره ابن القيم يكاد يكون مبنيّا على أثرِ كلٍّ من الخوف والخشية، فقد قال: والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]فهي خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إني أتقاكم لله، وأشدكم له خشية»، فالخوف حركة، والخشية انجماع، وانقباض وسكون، فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان:

إحداهما: حركة للهرب منه، وهي حالة الخوف.

والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه، وهي الخشية."[4]

إذن الخشية ملازمة للعلم بعظم المخشي، ولا يلزم منه ضعف الخاشي في ذاته، وأما الخوف فالضعف ملازم للخائف، ولا يلزم منه استحقاق المخوف بأن يُخاف منه.

---

[1] – تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) (٢٨/ ١٤٦) وانظر كلامًا نفيسًا له (٢٩/ ٣٦٩)

[2] – الكليات لأبي البقاء الكفوي (ص: ٤٢٨)

[3] – تفسير العثيمين: جزء عم (ص: ٢٨٣)

[4] – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (١/ ٥٠٨)

هناك مفردات قريبة من معنى الخشية كالوجل، والرهبة، والمهابة، والشفقة، والوهل، وبينها وبين الخشية فرق، قال ابن القيم: "والوجل، والخوف، والخشية، والرهبة، ألفاظ متقاربة غير مترادفة"[1]

وقد تقدّم بيان معنى كل من الخشية والخوف والفرق بينهما، ولذلك سأقتصر هنا على بيان معاني هذه المفردات بما اختصت به عن معنى الخشية والخوف، وهذا الذي اختصت به من معنى هو الفرق بينها وبين الخشية.

الشفقة : "ضرب من الرقة وضعف القلب، ينال الإنسان، ومِن ثَم يّقال للأم: إنها تشفق على ولدها، أي ترق له، وليست هي من الخشية والخوف في شيء، والشاهد قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [المعارج: ٢٧]ولو كانت الخشية هي الشفقة لما حسن أن يقول ذلك، كما لا يسحن أن يقول يخشون من خشية ربهم"[2]

الرهبة: إذا نظرنا إلى اشتقاق الرهبة الأصغر نجد أن فيها معنى الطول والاستمرار، ولذلك قيل: للراهب راهب؛ لأنه يُديم الخوف، وأصله من قولهم: جمل رَهْبٌ، إذا كان طويل العظام مشبوح الخلق. وإذا نظرنا للاشتقاق الأوسط فسنجد أن فيها معنى الهرب، فيمكن أن يقال إن الرهبة إمعانٌ في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة.[3]

والهول "مخافة الشيء لا يدري على ما يقحم عليه منه، كهول الليل وهول البحر، وقد هالني الشيء وهو هائل"[4]

الوجل: ضدّ طمأنينة القلب، يقال وجل الرجل وجلًا، وهو رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢] أي إذا ذكرت عظمة الله وقدرته لم تطمئن قلوبهم إلى ما قدموه من الطاعة وظنوا أنهم مقصرون فاضطربوا من ذلك وقلقوا.[5]

وفرّق بعضهم بين هذا المفردات باعتبار آثاراها ومراتبها، قال الشهاب الخفاجي: "فإنّ الخشية ملاك الأمر والباعث على كل خير وهي للعارفين، فإنّ الإنسان إذا

---

[1] – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥٠٧) وقد نقل ابن القيم كلامًا للجنيد وغيره من الفروق بين هذه المفردات لا تعدو كونها من إشارات الصوفية التي لا تستقيم على لسان اللغة وإنما هو ذوق لا يقوم عليه دليل.

[2] – الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٤١)

[3] – انظر الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٤١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥٠٨)

[4] – الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٤٣)

[5] – انظر الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٤٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥٠٨)

استشعر عذاباً يأتيه لحقته حالة يقال لها: الخوف، وهي انخلاع القلب عن طمأنينته، فإن اشتدّ سمي: وجلاً لجولانه في نفسه، فإن اشتدّ سمي: رهباً لأدائه إلى الهرب وهي حالة المؤمنين الفارّين إلى الله تعالى. ومن غلب عليه الحبّ لاستغراقه في شهود الجماليات لحقته حالة تسمى: مهابة، ووراء هذا الخشية ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ﴾ [فاطر: ٢٨]"[١]

ومثل هذه الفروق هي فروق أغلبية لا كلية، فقد يُستعمل بعضها في غير ما تقدّم، والحكم للأغلب. والله أعلم.[٢]

المسألة السابعة:

تقديم المفعول على الفاعل.

الأصل في ترتيب الجملة الفعلية أن يتقدّم الفاعل على المفعول، ولكن هناك حالات يجب فيها تقديم المفعول على الفاعل، وهذه الحالات تكون لعلل نحوية وتركيبية، وتفصيلها في كتب النحو[٣]، وهناك حالات يجوز فيها التقديم، وهذا الجواز من جهة نحوية، ولكن لا يقدّم العربي المفعول على الفاعل إلا للإشارة إلى معنى لا يتأتى بالبقاء على الأصل، فالتقدّيم أحياناً يراد به الاختصاص أو الحصر وربما أريد به معانٍ أُخر[٤]. وتقديم العلماء على لفظ الجلالة، لا بدّ وأن يكون لهذا التقديم معنى لا يدل عليه ما لو لم يحصل التقديم.

قال الزمخشري: "هل يختلف المعنى إذا قدّم المفعول في هذا الكلام أو أخر؟ قلت: لا بدّ من ذلك، فإنك إذا قدمت اسم الله وأخرت العلماء كان المعنى: إنّ الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم، وإذا عملت على العكس انقلب المعنى إلى أنهم لا يخشون إلا الله، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٩] وهما معنيان مختلفان."[٥]

---

[١] – السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير للشربيني الشافعي (٤/ ٥٧٢) وانظر الذريعة الى مكارم الشريعة للراغب الأصفهاني (ص: ٢٣٤)

[٢] – انظر حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي (عنايه القاضي وكفاية الراضي) (٥/ ٢٣٤)

[٣] – انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام (٢/ ١٠٩) شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام (ص: ١٨٤) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو للوقاد الأزهري (١/ ٤١٥)

[٤] – انظر الإيضاح في علوم البلاغة (٢/ ١٧٣) و

[٥] – تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل) (٣/ ٦١١)

فيظهر من كلام الزمخشري أن المقصود من هذا التقديم حصر الفاعلية لا المفعولية.[1]
قال ابن عاشور: "وتقديم مفعول يخشى على فاعله لأن المحصور فيهم خشية الله هم العلماء فوجب تأخيره على سنة تأخير المحصور فيه."[2]
ويتبين أيضًا أن هذا الحصر لا يبطل المعنى الآخر الذي يُفهم من تقدير عدم التقديم، وهو أن العلماء لا يخشون إلا الله، فإن هذا المعنى دلّ عليه قول الله تعالى: تعالى:﴿ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٩]
قال النسفي: "وتقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء يؤذن أن معناه: إن الذين يخشون من عباده العلماء دون غيرهم، ولو عكس لكان المعنى أنهم لا يخشون إلا الله كقوله ﴿ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٣٩] وبينهما تغاير ففي الأول بيان أن الخاشين هم العلماء وفي الثاني بيان أن المخشي منه هو الله تعالى."[3]

المسألة الثامنة:

المراد بالعلماء.

من المعلوم أن كل من تبصّر في شيء وأدركه كله أو جلّه فهو عالم به، إلا أنه يُقيد بذلك المعلوم فيقال: عالم طب أو عالم فلك أو عالم حيوان، ويمكن أن يُجمع هؤلاء ويقال علماء، إلا أن هذا الإطلاق لا يتجّه في لسان الشرع إلا إلى علماء الشرعية، وهم الذين جاء التنويه بذكرهم في الكتاب والسنة. ولذلك فإن العلماء المذكورين في الآية يراد بهم علماء الشرع، بل ما هو أخصّ من ذلك، فيراد العلماء بالله تعالى، لأن العلم به سبحانه هو الباعث الحقيقي على الخشية، وقد قال ابن عباس يشير إلى هذا المعنى في الآية: "العلماء: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير."[4] والعلم بأن الله على كل شيء قدير، من العلم به سبحانه، فالعلماء هم الذين علموا ربّهم بصفاته فعظموه، فإن زيادة العلم به مدعاة للخوف منه وتعظيمه، وقد قيل: من كان بالله أعرف كان من أخوف.[5]

---

[1] – انظر تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (٤/ ٢٥٨)فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٩٩)
[2] – التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٢/ ٣٠٤)
[3] – تفسير النسفي (٣/ ٨٦)
[4] – تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٠)
[5] – تفسير النسفي (٣/ ٨٦)

وقد أبعد بعض المتكلمين في التفسير، فجعل لفظة العلماء عامّة حتى لعلماء العلوم الدنيوية[1]، وهذا خطأ بيّن؛ فإن الله لم يكن ليدخل هؤلاء في التزكية المطلقة، ولم تكن هذه العلوم مما يُقصد به الدلالة على الله من حيث الأصل؛ فإن الناس يطلبون هذه العلوم من حيث الأصل لدنياهم، وقد تدلّ من أراد الله به خيرًا إلى ما يدعوه إلى تعظيم ربّه.

قال أبو حامد الغزالي: "وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد ربه ونفسه وخطر أمره في لقاء الله والحجاب منه، وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والأمن، قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات، فإذا تجرّد الإنسان لها حتى امتلأ منها امتلأ بها كبرًا ونفاقًا، وهذه بأنْ تُسمّى صناعات أولى من أنْ تُسمّى علومًا، بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة، وهذه تورث التواضع غالبًا."[2]

وقال الطاهر بن عاشور: "والمراد بالعلماء: العلماء بالله وبالشريعة، وعلى حسب مقدار العلم في ذلك تقوى الخشيةُ، فأما العلماء بعلوم لا تتعلق بمعرفة الله وثوابه وعقابه معرفةً على وجهها فليست علومهم بمقربة لهم من خشية الله، ذلك لأن العالم بالشريعة لا تلتبس عليه حقائق الأسماء الشرعية، فهو يفهم مواقعها حق الفهم، ويرعاها في مواقعها، ويعلم عواقبها من خير أو شر، فهو يأتي ويدع من الأعمال ما فيه مراد الله ومقصد شرعه، فإنْ هو خالف ما دعت إليه الشريعة في بعض الأحوال أو في بعض الأوقات لداعي شهوةٍ أو هوى أو تعجُّلِ نفع دنيويّ كان في حال المخالفة موقنًا أنه مورط فيما لا تُحمَد عقباه، فذلك الإيقان لا يلبث أنْ ينصرف به عن الاسترسال في المخالفة بالإقلاع أو الإقلال. وغير العالم إنْ اهتدى بالعلماء فسعيه مثل سعي العلماء وخشيته متولدة عن خشية العلماء."[3]

---

[1] – انظر تفسير الشعراوي (١٣/ ٧٨٣٩) التفسير الحديث لدروزة محمد عزت (٣/ ١٢٢)

[2] – وانظر إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٣/ ٣٤٨) تفسير الرازي (٣٢/ ٢٥٢)

[3] التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٠٤)

المسألة التاسعة:

العلاقة بين العلم والخشية.

لا شك أن بين العلم والخشية علاقة ظاهرة، واقتران واضح، فإنّ الله ذكر العلماء وخشيتهم في هذه الآية ليُدرك القارئ أن العلم سبب للخشية، وأن الخشية ثمرة العلم، وقد أشار رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى تلك العلاقة بما روته عائشة –رضي الله عنها– قالت: صنع النبي –صلى الله عليه وسلم– شيئًا ترخّص فيه، وتنزّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً." متفق عليه. [1]

فانظر كيف قرن –رسول الله صلى الله عليه وسلم– بين العلم والخشية، للإشارة إلى أن الذي يقود إلى الخشية كثرة العلم لا كثرة العمل.

وفي حديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– خطب خطبة ما سُمع مثلها قط، فقال: " لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا". [2] والبكاء من ثمار الخشية، وقد رتّب رسول –الله صلى الله عليه وسلم– في هذا الحديث أن البكاء من أثر العلم الذي بلغ رسول الله. قال أبو حامد الغزالي: "كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية، فإن البكاء ثمرة الخشية." [3]

ولذلك أدرك سلف هذه الأمة هذه الحقيقة فجاءت كلماتهم مُبيّنة للعلاقة بين العلم والخشية.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ليس العلم من كثرة الحديث، ولكن العلم من الخشية. [4]

وقال ابن عباس– في تفسيره للآية–: إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني. [5]

---

[1] – رواه البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم، والغلو في الدين والبدع (٩/ ٩٧) ومسلم في صحيحه كتاب الفضائل برقم ٢٣٥٦ (٤/ ١٨٢٩)

[2] – رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ ابرقم ٤٦٢١ (٦/ ٥٤) ومسلم في صحيحه من حديث عائشة في كتاب الكسوف صحيح مسلم (٢/ ٦١٨)

[3] – إحياء علوم الدين (٤/ ١٦٣)

[4] – تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٠)

[5] – تفسير البغوي (٦/ ٤١٩)

وقال صالح أبو الخليل في بيان معنى العلماء في الآية: أعلمهم بالله أشدّهم له خشية.[1]
والمقصود بالعلم الذي يقود للخشية هو العلم بالله، أي العلم بأسمائه وصفاته فهي التي تقود العارف إلى تعظيم الله وخشيته، وكان السلف يقولون: " العلماء ثلاثة عالم بالله، وعالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله: الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض، والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله."[2]
فالعلم الذي يقود للخشية العلم بالله، ولذلك لا يتصوّر أن يكون الإنسان عالمًا بهذا الاعتبار إلا وهو يخشى الله، ولذلك لما قال رجل للشعبيّ: "أفنتي أيها العالم! قال: العالم من خشي الله عز وجل."[3]
ثم إن الخشية دليل على العلم، لأنها ثمرة العلم، قال عطاء في قوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] قال: "من خشي الله فهو عالم."[4]
وكذلك فإن الغرور والعصيان دليل على انتفاء العلم بالله، قال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: "كفى بخشية الله علمًا وكفى بالاغترار بالله جهلًا."[5]
قال الزمخشري عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٩] "وأرشدك إلى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه فَتَخْشى؛ لأن الخشية لا تكون إلا بالمعرفة. قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أى العلماء به، وذكر الخشية لأنها ملاك الأمر، من خشي الله أتى منه كل خير. ومن أمن اجترأ على كل شرّ. ومنه قوله عليه السلام: "مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ"[6]. "[7]

---

[1] – تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٠)
[2] – روي عن أبي حيان التيمي وروي عن سفيان الثوري وغيرهما انظر تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣١٨٠) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (٢/ ٨٢٢) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٤٣٦)
[3] – تفسير الثعلبي (٨/ ١٠٦)
[4] – أثر عطاء رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٢٣)
[5] – المصدر السابق (٢/ ٨١٢)
[6] – رواه الترمذي في سننه(٤/ ٢١٤)
[7] – تفسير الزمخشري (٤/ ٦٩٥)

المسألة العاشرة:

معنى العزيز والغفور، ودلالة اقترانهما، وختم الآية بهما.

المعنى اللغوي للعزيز: أصلها من ع ز ز وهي بمعنى الغَلَبَة والشدة ويَقال: عزّني فلَان على الْأَمر إِذا غلبني عليه. وَقَالَ الله تَعَالَى ذكره: ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [يس: ١٤] أَرَادَ وَالله أعلم قوينا أمره وشددناه وقال تعالى ﴿ وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ [ص: ٢٣] أراد غلبني.[١]

المعنى الشرعي للعزيز: هو العزيز الذي له العزّة كلها عزّة القوة، وعزّة الغلبة وعزّة الامتناع، فعزّة القوّة أنه لا أقوى منه وعزّة الغلبة أن هو الغالب وغيره المغلوب، وأما عزة الامتناع فلا يستطيع أحد أن يناله بضر، ولا يحتاج سبحانه إلى أحد من خلقه.[٢]

وقد جمع هذه المعاني الثلاث ابن القيم في نونيّته، فقال:

وهو العزيز فلن يُرامَ جنابُه ... أنّى يُرامُ جنابُ ذي السلطانِ

وهو العزيزُ القاهرُ الغلّاب لُم ... يغلبه شيءٌ هذه صفتانِ

وهو العزيزُ بقوةٍ هي وصفُه ... فالعزُّ حينئذٍ ثلاثُ معانِ[٣]

معنى الغفور في اللغة: أصل الغفر في الكلام الستر والتغطية، يقال: اصبغْ ثوبك فهو أغفر للوسخ، أي أحمل له وأستر.[٤]

المعنى الشرعي للغفور: الغفور اسم من أسماء الله، وجاء على صيغة فعول للدلالة على المبالغة في الصفة، ومعنى صفة المغفرة: "وقاية شر الذنب بحيث لا يُعاقب على الذنب، فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه. وأما مجرد ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطنًا أو ظاهرًا فلم يغفر له."[٥]

وهذه المعاني في كل من اسم العزيز والغفور معاني كمال عند انفراد كل اسم، وأما عند اقترانهما فإن هذا الاقتران يعطي قدرًا زائدًا من نوع آخر من الكمال،[٦] ويمكن الإشارة إلى شيء من هذا الكمال الذي تضمّنه قرن الاسمين: أن اسم العزيز يدلّ على

---

[١] – انظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص: ٣٣)

[٢] – انظر تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢١٤)

[٣] – نونية ابن القيم (الكافية الشافية) (ص: ٢٠٥)

[٤] – تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص: ٣٧)

[٥] – مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٣١٧)

[٦] – انظر بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٦١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٥٨)

القوة والقهر والغلبة، وقد يحصل وهمُ السامع من أن في هذا الاسم من القسوة المجرّدة عن الرحمة والعفو فلذلك جيء باسم الغفور ليدفع هذا الوهم، ويشير إلى أن هذا الإله على قوته وقهره وغلبته فإنه ذو مغفرة لعباده يتوب على من تاب ويغفر لمن استغفر.

ثم تظهر مناسبة اسم العزيز مع اسم الغفور: أن مغفرته وعفوه عمن قصّر في جنابه ليس صادرًا عن ضعف منه تعالى، وإنما كان ذلك من كمال عزته وعظمته، فمغفرته ليست عن عجز وإنما عن مقدرة.[1]

مناسبة ختم الآية بهاذين الاسمين:

ولا شك أن خاتمة أي آية من كتاب الله لا تكون إلا لمناسبة تضمّنته الآية، وختم الآية بهاذين الاسمين كالتعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة المصرين على عصيانهم، وأنه غفور لمن ترك معصيته وصار من أهل طاعته.[2] والعالم بهاذين الاسمين وما تضمناه من معنى يورثان لدى العالم خشية من عقوبته والطمع في مغفرته، فيكون المؤمن بين رغبة ورهبة وبين خوف وأمن، وهذه المعاني تجعل هناك توازنًا في السير إلى الله، فتغليب جانب الرغبة على الرهبة والعكس أو الخوف على الأمن والعكس يوقع المرء في خلل في السير إلى الله، فإما أن يغلب جانب الخوف فيقع في اليأس من روح الله، وإما أن يغلب جانب الأمن فيقع في الأمن من مكر الله، وهذا التوازن لا يفقهه إلا العلماء بالله العارفين معاني أسمائه وصفاته الذين اجتهدوا في إحصائها عملًا لا قولًا فقط.

المسألة الحادية عشرة:

مناسبة الآية لما قبلها، وما بعدها.

رأيت أن أجعل هذه المسألة آخر مسألة في الكلام عن الآية، وربما قيل: إن موضع هذه المسألة في أول البحث لا سيما في علاقة الآية بما قبلها، فلماذا جعلتها آخرًا؟

فأقول: إنني آثرت أن تكون آخر مسألة ليتمّ تصوّر معنى الآية بالمسائل السابقة، وعلى ضوء هذا التصور يستطيع الباحث والقارئ أن يتجلّى له العلاقة بين الآية والتي قبلها، وبين الآية وما بعدها.

---

[1] – انظر الإعجاز البياني في نظم خواتيم الآيات المشتملة على أسماء الله الحسنى: ص١٨٢

[2] – انظر تفسير الطبري (١٩/ ٣٦٥) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) (٤/ ٢٥٨) النسفي (٣/ ٨٧)

الآية وما قبلها وما بعدها:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر: ٢٧ – ٢٩]

من المعلوم أن كل آية من كتاب الله تعالى لا يمكن أن تكون إلا في المكان الأنسب لها، فالكلام إذا لم يكن مترابطًا متناسبًا فإن المتكلّم به لا يُعدّ من أهل الفصاحة، بل لم يكن ممن يحسن ما يقول، والله تعالى قد تحدّى بكلامه البلغاء والفصحاء، ولو كان في كلامه ما لا مناسبة له في موضعه لجعلوا ذلك موضًا للطعن، إلا أنهم علموا موضع الفصاحة فيه والمناسبة في ترتيب ألفاظه لمعانيه فلزموا السكوت.

وإذا كنا نعتقد ذلك من حيث الأصل في كلام الله، فإنّ هذا لا يعني أننا إن جهلنا المناسبة في ترتيب بعض الآي أنه ليس هناك مناسبة، بل المناسبة موجودة وأحيانًا تكون ظاهر بارزة يلتقطها القارئ مباشرة، وأحيانًا تكون خفية فيجتهد العالم في استنباطها، وربما تفاوت نظر العلماء في المناسبة، فقالوا أقوالًا عدّة، وقد تكون المناسبة في كل ما قيل.

وعند التأمل في مناسبة هذه الآية لما قبلها وما بعدها فإننا نستطيع أن نرى ذلك ظاهرًا وقد أشار المفسرون إلى شيء من ذلك.

أولا: مناسبة الآية لما قبلها:

قبل الحديث عن علاقة الآية بما قبلها، فإنه يلزم الإشارة إلى اختلاف المفسرين في الوقف على قوله تعالى {كذلك} في نفس الآية؛ لما في ذلك من علاقة باتصال الآية بما قبلها، ولما في الخلاف في الوقف على هذه الكلمة من عدمه من معانٍ مختلفة.

القول الأول: أن الوقف يكون على قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ۗ﴾ والمعنى ومن الناس والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه كاختلاف ألوان الجبال، ثم يُستأنف الكلام من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] وهذا القول هو الأشهر والأظهر من معنى السياق.

القول الثاني: أن الكلام قد تمّ عند قوله:﴿ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ ﴾، ثم استأنف فقال: ﴿ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ يعني: هكذا يخشى الله من عباده العلماء. أي أن العلماء قد علموا ما خلق الله وتفكّروا فيه وعلموا ثوابه وعقابه فأورثهم تلك الخشية.[1]

وهذا القول قول محتمل، وقد حكاه ابن عطية على وجه الاحتمال[2]، وردّه أبو حيان فقال: " وهذا الاحتمال لا يصح، لأن ما بعد إنما لا يمكن أن يتعلّق بهذا المجرور قبلها، ولو خرج مخرج السبب، لكان التركيب: كذلك يخشى الله من عباده، أي لذلك الاعتبار، والنظر في مخلوقات الله واختلاف ألوانها يُخشي الله. ولكن التركيب جاء بإنما، وهي تقطع هذا المجرور عما بعدها."[3]

وهناك قول ثالث لم أرَ من قال به قبل ابن عاشور، وهو قول مستقيم من حيث المعنى، وإن كان غير ظاهر في الآية، قال ابن عاشور: "الأظهر عندي أن ﴿ كَذَٰلِكَۗ ﴾ ابتداء كلام يتنزل منزلة الإخبار بالنتيجة عقب ذكر الدليل. والمعنى: كذلك أمر الاختلاف في ظواهر الأشياء المشاهد في اختلاف ألوانها، وهو توطئة لما يرد بعده من تفصيل الاستنتاج بقوله: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨] أي إنما يخشى الله من البشر المختلفة ألوانهم العلماء منهم، فجملة ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨]مستأنفة عن جملة كذلك. وإذا علم ذلك دلّ بالالتزام على أن غير العلماء لا تتأتى منهم خشية الله فدلّ على أن البشر في أحوال قلوبهم ومداركهم مختلفون.وهذا مثل قوله: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [فاطر: ١٨] .

وأُوثِر هذا الأسلوب في الدلالة تخلصًا للتنويه بأهل العلم والإيمان، لينتقل إلى تفصيل ذلك بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر: ٢٩] الآية

فقوله: ﴿ كَذَٰلِكَۗ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف دلّ عليه المقام. والتقدير: كذلك الاختلاف، أو كذلك الأمر على نحو قوله تعالى في سورة الكهف : ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ﴿٩١﴾ ﴾ [الكهف: ٩١]وهو من فصل الخطاب كما علمت هنالك ولذلك يحسن الوقف على ما قبله ويستأنف ما بعده.

---

[1] – انظر تفسير السمرقندي (بحر العلوم) (٣/ ١٠٦)

[2] – انظر تفسير ابن عطية (٤/ ٤٣٧).

[3] – البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣٠)

وأما جعل كذلك من توابع الكلام السابق فلا يناسب نظم القرآن لضعفه."[1]

وأما مناسبة الآية لما قبلها فإن الله لما قرّر رسوله صلى الله عليه وسلم في إنزاله الماء من السماء، وما أخرج الله من نبات الأرض، وما خلق الله من الجبال المختلفة ألوانها، وكلّ ذلك يدلُّ على عظيم قدرته، وسعة علمه، مما يستدل به الإنسان على كمال صفاته تعالى=أتبع ذلك بذكر منزلة العلماء به الذين يتعرفون على عظيم صفاته بالنظر إلى آثارها في مخلوقاته، فيحملهم ذلك على كمال خشيته والعلم باستحقاقه ذلك دون من سواه ممن اتُّخذ إلها من دونه.[2].

قال أبو حيان: "وجاءت هذه الجملة بعد قوله: ألم تر، إذ ظاهره خطاب للرسول–صلى الله عليه وسلم– حيث عدّد آياته وأعلام قدرته وآثار صنعته، وما خلق من الفطر المختلفة الأجناس، وما يستدلّ به عليه وعلى صفاته، فكأنه قال: إنما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرف الله حق معرفته."[3]

ثانيًا: مناسبة الآية لما بعدها.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩]

لما ذكر الله أنّ العلماء هم أهل الخشية، والخشية من أعمال القلوب، ناسب أن يذكر جملة من أعمالهم الظاهر التي لا يمكن لمن خشي الله ان يكون خليًّا منها، فذكر أنهم يتلون آيات الله، وأنهم أقاموا الصلاة التي هي عمود الدين، وأنفقوا أموالهم في وجوه الخير وهذا دليلٌ على صدقهم في البذل، ثم إنه تعالى عبّر بالفعل المضارع في التلاوة الدال على التجدد والحدوث؛ لأن هذا هو دأبهم مع كتاب الله فهم يتلونه قولًا وفعلًا في جميع أوقاتهم فليست التلاوة مقصورة على القراءة بل ما هو أعم من ذلك، فهم يحلّون حلاله ويحرمون حرمه ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه.[4]

---

[1] – التحرير والتنوير (٢٢/ ٣٠٤)

[2] – انظر تفسير الزمخشري (٣/ ٦١١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٤)

[3] – البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣١)

[4] – انظر التحرير والتنوير. وفيه تفصيل لطيف في بعض المناسبات البيانية (٢٢/ ٣٠٥)

قال أبو حيان: "ولما ذكر تعالى وصفهم بالخشية، وهي عمل القلب، ذكر أنهم يتلون كتاب الله، وهو عمل اللسان. وأقاموا الصلاة: وهو عمل الجوارح، وينفقون: وهو العمل المالي. وإقامة الصلاة والإنفاق: يقصدون بذلك وجه الله، لا للرياء والسمعة."[1]

[1] – البحر المحيط في التفسير (٩/ ٣١) وانظر تفسير النيسابوري (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) (٥/ ٥١٦)

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

الحمد لله الذي بنعمته تتّم الصالحات، فقد يسّر الله لي الفراغ من كتابة هذا البحث بعد رحلة بين معاني هذه الآية، وربما فاتني من معانيها ما لم يخطر على البال حين تابة هذا البحث، مع يقيني بذلك؛ فإن آيات كتاب الله يظهر لبحاث من معانيها ما لا يظهر للآخر لاتسّاع معاني كلام الله ولاختلاف مشارب المتدبّرين، ولتفاوت مقاصدهم في التأمّل.

وقد خلصت من هذا البحث بجملة من النتائج والتوصيات:

أهم النتائج:

١- تنويه القرآن بمنزلة العلماء.

٢- ذكر القرآن العلماء بعدة أسماء كأولي العلم والذين أوتوا العلم والراسخين في العلم.

٣- ليس في الآية قراءات صحيحة غير قراءة أئمة القراء.

٤- أن هناك فرقًا بين الخوف والخشية.

٥- أن هناك علاقة تلازم بين الخشية والعلم.

٦- أن المراد بالعلماء علماء الشرع.

٧- ظهور مناسبة ختم آيات القرآن بأسماء الله.

أهم التوصيات:

١- دراسة لمنزلة العلماء في القرآن وذكر صفاتهم.

٢- بيان واجب العلماء تجاه الأمة من خلال القرآن الكريم.

٣- وجه التفريق في التعبير عن أسماء العلماء في القرآن، فمرة يسمّون بأولي العلم ومرة بالراسخين ومرة بالعلماء وغير ذلك.

٤- إفراد آيات بالدراسة مما يحتاج إليه الناس في شؤون حياتهم وما يقرّبهم إلى ربهم.

قائمة المراجع

- **إحياء علوم الدين**، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت
- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ
- **الإعجاز البياني في نظم خواتيم الآيات المشتملة على أسماء الله الحسنى** للباحث: عاطف رجب جمعة القانوع رسالة ماجستير مقدمة للحصول على درجة الماجستير من قسم اللغة العربية في كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة. ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م
- **إعراب القرآن للأصبهاني**، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، قدمت له ووثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، الناشر: غير معروف (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ
- **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
- **الإيضاح في علوم البلاغة**، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (المتوفى: ٧٣٩هـ)، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة

- **البحر المحيط في التفسير**، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ
- **بدائع الفوائد**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان
- **البلاغة ٢ – المعاني**، (مذكرة جامعية) كود المادة: LARB٤١٠٣، المرحلة: بكالوريوس، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية
- **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
- **تفسير أسماء الله الحسنى**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية.
- **تفسير أسماء الله الحسنى**، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبيد بن علي العبيد، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢ – السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ
- **التفسير الحديث**، المؤلف: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، الطبعة: ١٣٨٣ هـ
- **تفسير الراغب الأصفهاني**، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، د. عادل بن علي الشِّدِي الناشر: كلية الآداب – جامعة طنطا، الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م
- **تفسير الشعراوي**، المؤلف: محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل – المطبوع – أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧ م)

- **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ
- **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م
- **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م
- **تفسير جزء عم**، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م
- **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
- **تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي**، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م
- **تهذيب اللغة**، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

- **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م
- **جامع بيان العلم وفضله**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م
- **الجنى الداني في حروف المعاني**، المؤلف: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: د فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م
- **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (المتوفى: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت
- **حاشية الشِّهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفايةُ الرَّاضِي على تفسير البيضاوي)**، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (المتوفى: ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت
- **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك**، المؤلف: أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م
- **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م
- **روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)**، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ –٢٠٠١ م

- **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، المؤلف: خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: ٩٠٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م
- **شرح قطر الندى وبل الصدى**، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الناشر: القاهرة، الطبعة: الحادية عشرة، ١٣٨٣
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت
- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
- **صحيح البخاري، (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)**، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
- **صحيح مسلم، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)** المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
- **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: ٧٤٥هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ
- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦ هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م

- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ)، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ
- **فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ
- **الفروق اللغوية**، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر
- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م
- **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت
- **متن القصيدة النونية**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ
- **مجموع الفتاوى**، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م
- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م
- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م
- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م
- **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، المؤلف: عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: السادسة، ١٩٨٥
- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ
- **مفتاح العلوم**، المؤلف: يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

- **المفردات في غريب القرآن**، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ
- **المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى»**، المؤلف: بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني (المتوفى ٨٥٥ هـ)، تحقيق: أ. د. علي محمد فاخر، أ. د. أحمد محمد توفيق السوداني، د. عبد العزيز محمد فاخر، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ
- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية – مصر